المحاضرة السادسة السنة الثانية ليسانس

الأفواج: 1- 2 الشعبة: دراسات لغوية

النقد الثقافي

النقد من الحامل اللغوي إلى الحامل المعرفي.

فالنقاد أصبحوا منشغلين بالسياسة بحيث لم يعودوا ينتبهون للأدب، أو أنهم عملوا على الدوام على النظر من خلال النص للتعرف على حقيقته. لقد أصبح الأدب قناعا ينبغي تمزيقه للكشف عن العمليات الخفيّة للسلطة وامتيازاتها، والتي تكمن وراء الأدب" موت الناقد، ص: 133.

يعدّ النظر إلى النص الأدبي في ضوء الثقافة التي أنتجته، إحدى أهم توجهات الفكر النقدي ما بعد الحداثي (*)، ويشهد هذا التحول على تغيّرات نوعية في استراتيجيات التعامل مع النص الأدبي، وأنماط انتاجه وآليات اشتغاله حيث توضع مضمرات النسق الثقافي، والمسلمات الأيديولوجية والمعتقدات موضع المساءلة، والمراجعة والنقد.. وهو الاعتقاد السائد فيما يذهب إليه أنصار ما بعد الحداثة الذين يرون **أن الحقائق كلّها هي ببساطة مجرد تصورات ثقافية**. ولذا لا بد من الإشارة، في إطار هذا التحديد لجوهر النّص، إلى دور السياق المصاحب للعملية الابداعية، أي حضور الذات والمرجع، والفكر أو الثقافة في تقرير خصائص العمل الأدبي أو علاقة العمل الفني بالإنسان والعالم، باعتباره بنية فنية تعكس الواقع والايديولوجيا والتاريخ والإنسان والجمال. وبناء على ذلك نقول: "**ليس من المعقول أن نعتقد مع الشكلانيين والبنيويين أن القصيدة مجرد حقيقة أدبية، ولكنها أيضا حقيقة اجتماعية وتاريخية**".

إن النقد الثقافي له –دائما– وجهة نظر، بمعنى أن نقاده لا ينتقدون بلا وجهة نظر. لقد أدى النقد

(*)- **وفلسفة الاختلاف التي توشح الفن، كما يدعي "جيل دولوز" (Gilles Deleuze)، تجد في الفن بجميع أشكاله حاضنة لها.**

ويعقد فلاسفة ما بعد الحداثة، آمالا عريضة على الفن وعلى رأسهم نيتشه، الذي يرى الخلاص في الفن وحده. الفن يمكن أن يصبغ المعنى على العالم. «يمكن القول بدءا أن الفن المعاصر شهد نهاية وأفول السرديات الكبرى أي كل ما يخدم تبريره ويثبت مشروعيته».

(**)– **الخطاب التفكيكي**: المقاربة التفكيكية باعتبارها مقاربة غربية، تؤمن بالعدمية، وتُنادي باللامعنى واللامرجع والتفكيك خطاب يحفزه روح الاختلاف، وسيرورة لا تنتهي، وفعل لا يفتأ يقيم مسافة الاختلاف، فهو بالمرصاد دوما لهيمنة الحضور وهيمنة المعنى التي هي أصل كل امبريالية. لقد نذر نفسه لتقويض كل سلطة للذات الطاغية وانتصر إلى كل آخر غير الذات الآخر.

الأدبي دورا فعالا في الوقوف على جماليات النصوص، وفي تدريبنا على تذوق الجمالي وتقبل الجميل النصوصي، ولكن النقد الأدبي مع هذا أوقع نفسه في حالة من العمى الثقافي التام عن العيوب النسقية المختبئة من تحت عباءة الجمالي، وظلت النسقية تتنامى متوسلة بالجمالي الشعري والبلاغي حتى صارت نموذجا سلوكيا يتحكم فينا ذهنيا.

1- سؤال النشأة وخلفيات التّشكل

ظهر النقد الثقافي أول مرة على يد المفكر الألماني "**تيودور أدورنو**" من خلال مقاله المعنون بـ: "**النقد الثقافي والمجتمع الذي كتبه**" سنة 1949، وتجدر الإشارة أن هذا الكاتب هو من أبرز النقاد الذين ينتمون لمدرسة فرانكفورت (النظرية النقدية) التي سنتحدث عنها فيما بعد عند التطرق للخلفيات الفكرية التي انبثق منها النقد الثقافي. ومعروف اليوم في الساحة الأدبية عن النقد الثقافي سواء الذي يستمد أصوله من الدراسات الثقافية والتاريخانية الجديدة (*) والنظرية الماركسية أو الذي ارتبط بالمفكر الآخر "**فنسنت ب ليتش**"في كتابه ***"النقد الثقافي: النظرية الأدبية وما بعد البنيوية"*** 1992 وساهم في توسيع حدود النقد الأدبي ليشمل دراسة الأنساق الثقافية، الرموز، والسلوكيات داخل الثقافة. حيث حاول هذا الأخير تأسيس ما يعرف بالنقد الثقافي **الما بعد بنوي** وكان غرضه كما يقول حواس محمود في مقاله "**النقد الثقافي كبديل عن النقد الأدبي**": «تمكين النقد المعاصر من الخروج من نفق الشكلانية، والنقد الشكلاني الذي حصر الممارسات النقدية داخل الأدب، كما تفهمه المؤسسات الأكاديمية، وبالتالي تمكين النقاد من تناول مختلف أوجه الثقافة، ولا سيما تلك التي يهملها عادة النقد الأدبي»[1]. وقد خصّ الناقد الإمريكي "فنسنت ليتش" النقد الثقافي ما بعد البنيوي كما يرى الرويلي والبازعي بميزات ثلاثة، تمثلت في النقاط التالية:

1-أنه يتمرد عن الفهم الرسمي الذي تشيعه المؤسسات الأكاديمية للنصوص الجمالية فيتسع إلى ما هو خارج
مجالها واهتمامها.

2- إنه يوظف مزيجا من المناهج التي تعنى بتأويل النصوص وكشف خلفياتها التاريخية آخذًا بعين الاعتبار

---

[1] - حواس محمود: بصدد النقد الثقافي- النقد الثقافي كبديل عن النقد الأدبي- مجلة الجوبة، مركز عبد الرحمن السديري الثقافي، العدد: 22، 2009، ص: 57

الأبعاد الثقافية للنصوص.

3- إن عنايته تنصرف بشكل أساسي إلى فحص أنظمة الخطابات والكيفية التي بها يمكن أن تفصح النصوص عن نفسها ضمن إطار منهجي:" [2].

– ويعدّ النقد الثقافي من أبرز الاتجاهات النقدية المؤثرة في تحليل الخطابات الأدبية والثقافية في مرحلة ما بعد البنيوية، وقد جاء كرد فعل على البنيوية اللسانية والنظرية الجمالية التي تعنى بالأدب باعتباره ظاهرة لسانية شكلية من جهة أو ظاهرة جمالية شعرية من جهة أخرى. يقول آرثر إيزا برجر (Arther Berger): «**إن النقد الثقافي نشاط وليس مجالا معرفيًا خاصًا بذاته**»[3]بمعنى أن نقاد الثقافة يطبقون المفاهيم والنظريات على الفنون الراقية والثقافة الشعبية، والحياة اليومية. ويعرفه سمير خليل في كتابه "النقد الثقافي– من النص الأدبي إلى الخطاب–" بقوله: «**النقد الثقافي في أبسط مفهوماته ليس بحثًا أو تنقيبًا في الثقافة إنما هو بحث في أنساقها المضمرة وفي مشكلاتها المركّبة والمعقّدة، وبذا فهو نشاط إنساني يحاول دراسة الممارسات الثقافية في أوجهها الاجتماعية والذاتية بل في تموضعتها كافة بما في ذلك تموضعها النصوصي ومن هنا يبتعد النقد الثقافي عن الأدوات المنهجية المستعملة في النقد الأدبي وهي أدوات تبحث في بنية النص وفي ما هو بلاغي/ جمالي. أما النقد الثقافي فيبحث في الأنساق المضمرة للخطاب ويتعامل مع النص بوصفه حادثة ثقافية**»[4]. وقد **تأسس النقد الثقافي على يد** ليتش الذي وضع الأسس المنهجية للنقد الثقافي، الذي لا يقتصر على التحليل الجمالي للنص (الأدبي)، بل يغوص في الأنساق الثقافية والخطابات المضمرة.

– النقد الثقافي منجز عالمي معاصر، وقد أحدث هذا النقد انقلاب مفهومي في الدلالة النقدية الما بعد حداثية، وقد بنى صرحه الإجرائي من اتجاهات متشعبة تجتمع في بؤر التعدد والاختلاف والتنوع واليقين عوضا عن الشك الذي رافق الرؤى النقدية التي خلفت البنيوية ولا سيما التفكيك والتلقي. وقد جاء كرد فعل على تكريس الشكلانية والبنيوي للصنمية النصية من خلال شعار البنيويين: «**النص ولا شيء غير النص، ولا شيء خارج النص..**»

---

[2] – ينظر ميجان الرويلي وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، ص: 197.

[3] – آرثر إيزا برجر: النقد الثقافي، تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، ترجمة وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2003، ص: 30.

[4] – سمير خليل: النقد الثقافي– من النص الأدبي إلى الخطاب، دار الجواهري، بغداد، ط1، 2012، ص: 07.

فجاءت الرؤية الثقافية والرؤية التأويلية التي تسعى إلى التخلص من عقم الوصف الذي لا يتجاوز الرقعة الحرفية للنص/ الخطاب بوصفها واقعة لغوية أو كوجيتو نصية لا تحيل إلا على مشروطيتها الداخلية المحكومة بإكراهات المحايث/ النصاني. وتحتفى دوما بالعلامة اللغوية/ الثقافية التي تحيل بامتياز على جينالوجيا هذا الكائن.

– وكانت العناية بالمهمش والشعبي والخبيء في ذاكرة الشعوب. ومحاولة اكتشاف الأنساق الباطنة (المضمرة) التي تقوم بالدور الفاعل في توجيه الذائقة والتلقي...وبدا مفهوم الجمالي والفني ومفهوم الكهنوتي والمقدس موضوعا للسجال النقدي الثقافي والمحاكمة الثقافية، بل أن الهالات الواسعة التي وضعت حول أعمال ما بوصفها نخبوية قد فقد هذه العلامة المميزة أو الفارقة وتشاركت مع سواها في الحوار الثقافي الجديد بعد كشف الستار عن العلل النسقية وراء تلقيها والمتحكمة في انتاجها.

والواقع أن «**النقد الثقافي لا يختلف عن غيره من أنواع النقد الأدبي، لأنه نقد لا يزال ينظر إلى النص الأدبي، ولكن بدلا أن نفهمه على أنه نص مكتف بذاته أو مفتوح على العالم، فإنه ينظر إلى النص الأدبي بوصفه مُنْتَجًا ثقافيا. ومعنى كونه كذلك أنه منتج صاغته ثقافة المجتمع الذي أنتجه من خلال أديب متفرد...وتتجلى براعة هذا النوع من النقد عندما يتصدى لمراوغة النصوص الأدبية وتعدّد مستوياتها التي تنطوي على مسكوت عنه أو في الطبقات الخفية من النص**»[5].

انغاردن فيرى "**أن كل عمل أدبي هو عمل غير تام من حيث المبدأ**" لأن الأدب هو من أكثر الحقول التعبيرية التي تحتوي على القيم الخلافية التي ليس من الضروري أن يستقبلها جميع المتلقين على شاكلة واحدة». وامام سعى الشكلانيون إلى تكريس صنمية النص الأدبي واستبعاد السياقات الخارجية. كان من الضروري بمكان أن يظهر نقد يهتم بالسياق الثقافي للنص الأدبي

النسق المضمر: هو الدلالات الثقافية والاجتماعية المخفية تحت الغطاء الجمالي والبلاغي للقصيدة، والتي يكشف عنها النقد الثقافي باعتبارها "أنساقاً تنسخ القيم الجمالية" وتمرر أفكاراً لا واعية. هو هيكل

[5] - جابر عصفور: تحديات الناقد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2014، ص: 26- 27.

عميق، غير محسوس، يسيطر على النص من الداخل (كالتسلط، الفحولة، أو التبعية)، متوارياً خلف جماليات اللغة، ويختلف عن النسق الظاهر .

2- النقد الثقافي ومرجعيات التأسيس:

– وقد أطل النقد الثقافي على الفضاء النقدي بمفهوم جديد للثقافة وميادينها تمثل (وذلك) في إعادة طرح أسئلة الثقافة، لما اعتاد العرف وأغلب الظن في هذا الشأن يذهب إلى القول بالدلالة العليا والرفيعة للثقافي، فالثقافي هو الرفيع شأنا، والنخبوي، والفكري، وهذه رؤية كلاسيكية(*) لم يجرِ اعتزالها أو مراجعتها إلى أن بدأت الدراسات الثقافية، ومن ثم النقد الثقافي بالظهور في الثمانينات من القرن العشرين، لتراجع هذه الرؤية بقوة.

– في ظل مدّ النقد الثقافي الذي يتصدّر المشهد النقدي في المؤسسة الأكاديمية البريطانية وكذلك الامريكية في الظهور بعد أن تراجع دور النقد الأكاديمي القائم على حكم القيمة وتضاءل تأثيره وضعفت صلته بجمهرة القراء، ويبني "**رونان ماكدونالد**" على هذا التصور في إعلانه المدوي عن "**موت الناقد**" والعمل الجاري في حفل تأبينه، في إشارة رمزية دالّة على فقدان الناقد الأكاديمي، وكذلك الصحفي، مكانتهما ودورهما في الثقافة العامة خلال العقود الأربعة الأخيرة وبالتحديد بعد الثورة الطلابية في أوروبا عام 1968 وصعود التيارات المعادية للسلطة، والكارهة لها في المجتمع الشاب الداعي (الداعية) إلى التحرر من جميع أشكال السلطة، بما فيها سلطة الناقد الأكاديمي.

– يعمد النقد الثقافي إلى إعادة النظر في المقروء النصي السابق وفق سياقات ومشارع مختلفة ومتغايرة تأريخيا. ولعل المتغير النقدي الذي اعتلى منصة البث النقدي الثقافي هو في مفهوم القراءة المتعددة والمختلفة وجرى بمقتضى ذلك ترحيل الفكر الواحدي للدلالة أو المفرد إلى مراحل ما قبل الحداثة، أي بعد أفول مفهوم الأحادية في مفاصل الثقافة المتعددة؛ تاريخ، فلسفة، اجتماع، سياسة. متأثرا بالمد

(*)- الفكرة القديمة للثقافة تؤمن بالحدود وبأن الثقافة سياق متكامل قد تشكل من قبل وما من سبيل إلى إعادة تشكيله الثقافة هي مجال استثمار الفكر.

الديمقراطي أو الحوارية بالمعنى الباختيني. في النقد الثقافي أصبح الأدب قناعا يجب تمزيقه للكشف عن العمليات الخفية للسلطة.

«يثير النقد الثقافي إشكالات واسعة في مجال الدراسات النقدية بل الثقافية بعامة لما أحدثه من انقلاب مفهومي في الدلالة النقدية المابعد حداثية، غير فيها مرحلة الشك التي رافقت الرؤى النقدية التي خلفت البنيوية ولا سيما التفكيك والتلقي.. وقد بنى النقد الثقافي صرحه النقدي من اتجاهات متشعبة تجتمع في بؤر التعدد والاختلاف والتنوع، واليقين عوض عن الهيمنة..مع ضرورة ترسيم حدود الذاكرة الثقافية الجديدة»[6]

– قام النقاد الثقافيون بترسيخ التفكير النقدي الوصفي وتحويله إلى مفهوم وليس إجراء كما هو عند البنائيين مثلا، ويعنى هذا أن إسقاط البعد التقييمي من النقد هو إسقاط للمفاهيم الطبقية في النقد والتلقي وإيجاد نظم من العلاقات المفتوحة بين النتاجات الثقافية تقوم على الترابط مع السياقات الاقتصادية والاجتماعية والفلسفية والفنية تواجه الفكرة المهيمنة القديمة التي تؤمن بالحدود و بأن الثقافة سياق متكامل قد تشكل من قبل وما من سبيل إلى إعادة تشكيله وهذه الرؤية تفسر معنى أن يكون النقاد مفكري مقاومة الأفكار الثقافية الطبقية، والقمعية وأن تقود الدراسات الثقافية فعل المقاومة بالمشاريع التحررية.

– وجد النقد الثقافي لمقاومة الفكر الرأسمالي القائم على مفاهيم الهيمنة، والمركز، والطبقية، والفكر الواحدي... –كان الأدب عند البنيوي جسد لغوي وأصبح عند أصحاب التوجهات الثقافية استعمالا نوعيا للغة.

---

[6] - بشرى موسى صالح: بوبيطيقا الثقافة، نحو نظرية شعرية في النقد الثقافي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 2013، ص: 13